2011

السدو

مهارات النسيج التقليدية في دولة الإمارات العربية المتحدة

أدرجت في قائمة التراث الثقافي غير المادي لليونسكو التي تحتاج إلى صون عاجل

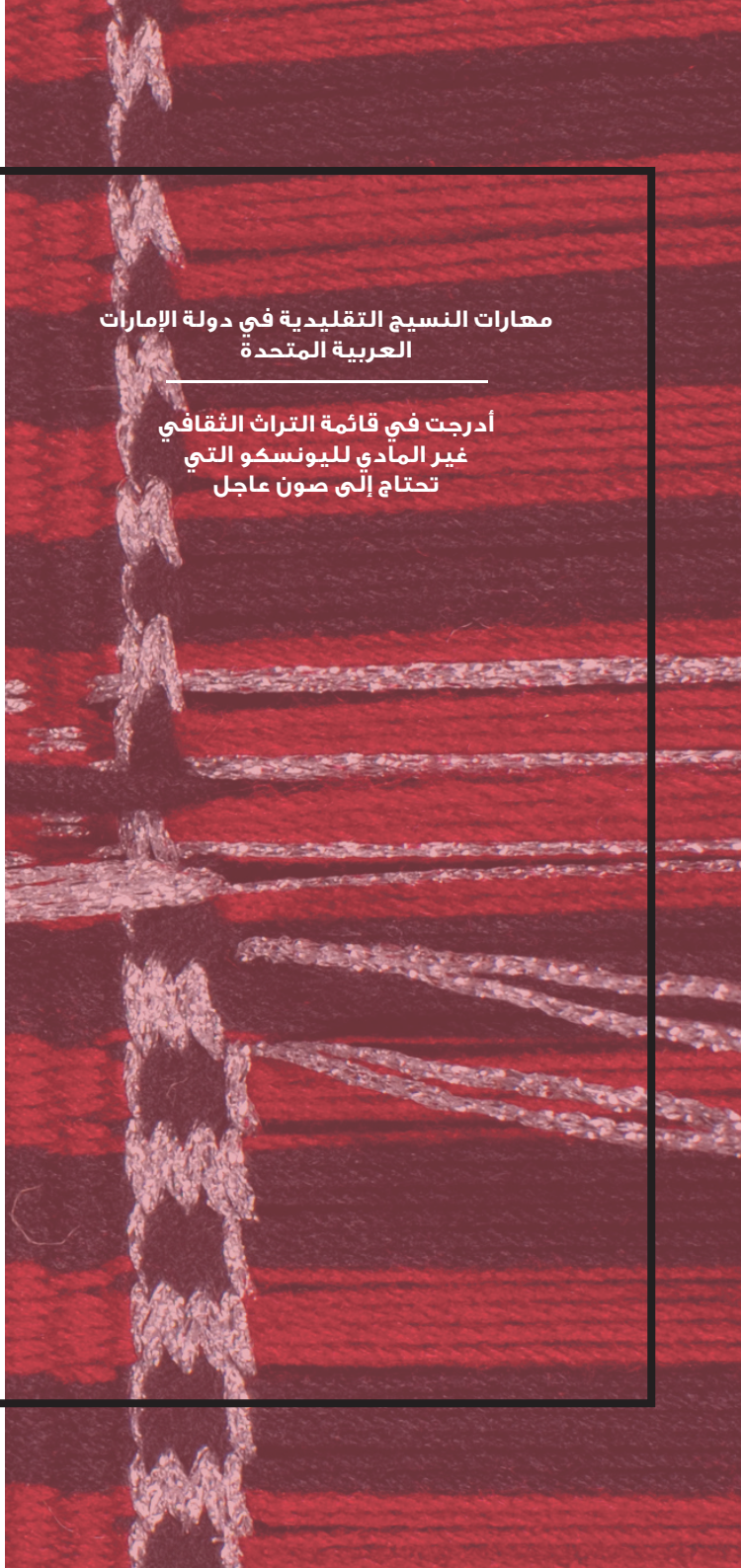

السـدو

Abu Dhabi
Culture & Tourism
للثقافة والسياحة

مقدمة

تعد حرفة السدو واحدة من الحرف التقليدية التي عملت بها المرأة الإماراتية منذ القدم لتلبية الحاجات الضرورية لسكان البادية، ولتوفر المواد الأولية اللازمة لهذه الحرفة، والمتمثلة بالدرجة الأولى بوبر الإبل، وشعر الماعز، وصوف الغنم.

يُقصد بالسدو حياكة أو نسج الصوف، وهو كسائر الحرف والصناعات اليدوية يعتمد في أدواته ومعداته، وخاماته على البيئة المحلية، ومنه صنع أهل البادية بيوت الشعر، وأثاث المنزل كالأغطية والسجاد والوسائد، وزينو إبلهم وزخرفوا أسرجتها وأحزمتها وأخراجها بأشكال وألوان جميلة.

لقد شكل السدو بتصاميمه المختلفة، وزخارفه وألوانه الزاهية، أشكالاً تراثية يتجلى فيها الإبداع الشعبي الإماراتي في أجمل صورة، وهو من بين الحرف اليدوية التي كانت قادرة على توفير المنتجات اللازمة لإنتاج عتاد الإبل والخيل، والمفروشات التقليدية، لا بل إمكانية المضي في تطويره لإنتاج المنتجات التقليدية بأساليب ونقوش مطورة ومبتكرة. من هنا تبرز أهمية الجهود التي قامت بها دائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي لتسجيل «السدو» في قائمة التراث الثقافي غير المادي لليونسكو التي تحتاج إلى صون عاجل في نوفمبر 2011.

مراحل الصنع

تعتبر حرفة السدو في مجتمع دولة الإمارات قديمة قدم الجماعات البدوية التي عاشت على أرضه، وأنها من أبرز أنشطة المرأة في الحياة الاقتصادية، ومثالاً واضحاً على التكيف والإبداع.

تبدأ المرحلة الأولى في صناعة السدو، بجز الصوف، وقص شعر الماعز، وجمع الوبر من الإبل، تليها مرحلة فرز الصوف وتصنيفه تبعاً للألوان والأطوال، ونفشه، ونفضه بالضرب لتخليصه مما علق به من نباتات وأشواك وأتربة، وغير ذلك من الأوساخ، ومن ثم تمشيطه وتسليكه بالقرداش، أو المنفاشة ليكون جاهزاً للمرحلة الثانية التي يتم فيها غسله ثلاث مرات أو أكثر بالماء البارد أو الساخن مع إضافة الطين أو الرماد أو مسحوق نبات السدو أو الصابون وغيره من مواد التنظيف التي كانت معروفة سابقاً، أما حالياً فتستخدم المنظفات الحديثة. بعدها ينشر الصوف على الحبال أو بيت الشعر أو على البسط لمدة يومين أو أكثر. وفي المرحلة الثالثة يُشرع في غزل الصوف والشعر أو الإبل وتحويله إلى خيوط متينة.

وعادة ما تقوم النساء بذلك داخل الخيام حيث تضع المرأة الصوف الذي تغزله تحت ذراعها الأيمن أو على صدرها، وتهيئ الصوف بيدها اليسرى على نحو لا يتجاوز القدمين طولاً، ثم تربطه بالنهاية السفلى بلولب الغزل، وتدفعه على الصنارة المثبتة على قمة المغزل، ثم ترفع ركبتها اليسرى وهي في وضع الجلوس، وتضع الطرف الأسفل من المغزل على ركبتها، وبعد ذلك تلف مقبض المغزل بقوة بدفع راحة يدها بسرعة إلى الخارج، فيدور المغزل في الهواء بسرعة، وتمسكه بيدها اليمنى بوساطة الصوف الملفوف على المغزل ذاته، عندها يتلقى الصوف شداً كافياً، حول الجزء المنخفض من رأس المغزل.

وفي المرحلة الرابعة تصبغ الخيوط التي تم إنتاجها بألوان جذابة باستخدام نباتات متوفرة في البيئة الصحراوية كالحناء، والكركم، والعصفر، والزعفران، والصبار، ونبات النيلة. وتنتهي هذه المرحلة بنشر الخيوط المصبوغة لتجف تحت أشعة الشمس.

أما مرحلة النسيج فهي المرحلة الخامسة والأخيرة، حيث يتم فيها النسيج حسب التصميم المطلوب والغرض المراد منه، وعادة ما تقوم في هذه العملية امرأة أو اثنتان بتبادل الخيوط، إحداهما تجلس بجانب مطواة الصدر والأخرى بجانب المطواة الخلفية، وتسمى آلة النسيج بآلة السدو، أما في بعض الدول الأخرى فتسمى (النول). وكانت آلة النسيج التقليدية هذه أو النول تُصنع من خشب النخيل أو السدر، حيث تُشد عليها الخيوط عند بدء عملية السدو، كما يستخدم في مناسبات معينة كالزواج عدد من الأنوال لتوفير الوقت والجهد لإنتاج المطلوب في وقت محدد.

الزخارف والرموز

مـن أهـم مـا يميـز حرفـة السـدو التقليديـة في دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة القيمـة الجماليـة للمنسـوجات والغنيـة بالزخـارف والرمـوز والأشـكال، والنقـوش التـي تعكـس البيئـة البدويـة، فالوحـدات الزخرفيـة في السـدو، تمثـل إلى جانـب الأشـكال الهندسـية البسـيطة، تموجـات السـهول والرمـال، كـما تعكـس الكثـير مـن عنـاصر البيئـة الأخـرى، كأشـجار النخيـل والزهـور، وعنـاصر الحيـاة الاجتماعيـة والدينيـة، مثـل أدوات القهـوة، وغيرهـا مـن الأدوات المنزليـة، والآيـات القرآنيـة، وصـور المسـاجد، وبعـض الحيوانـات التـي تحتـل مكانـة خاصـة عنـد البـدو، كالجـمال، والأغنـام، والصقـور، وبعـض زواحـف الصحـراء. إضافـة لأسـماء بعـض القبائـل كنـوع مـن الافتخـار بالانتسـاب إليهـا.

وقـد وظفـت الناسـجة هـذه الزخـارف بالتشـابك، والتداخـل والتماثـل، والتطابـق. ورغـم اختـلاف هـذه التصاميـم الزخرفيـة في بعـض الأحيـان مـن قبيلـة إلى أخـرى، أو منطقـة وأخـرى لا سـيما مـن حيـث اسـم الوحـدة الزخرفيـة، أو نوعهـا، أو التـمازج في ألـوان الخيـوط، إلا إنهـا تتشـابه لحـد كبـير في أغلـب أجزائهـا، وفي دلالاتهـا، فهـي تجسـد اتجاهـات أو مواقـف، أو معتقـدات، أو ظواهـر اجتماعيـة. فمثـلاً يرمـز شـكل السلسـلة ذات الحلقـات المتداخلـة إلى التكاتـف بـين أفـراد القبيلـة أو المجتمـع، كـما ترمـز التواريـخ إلى أحـداث معينـة متعـارف عليهـا. ومـن أشـكال التصاميـم المسـتخدمة في السـدو: تصميـم السـادة، وتصميـم الشـجرة، وتصميـم العويرجـان، والضلعة أو المقسـم، والمذخـر، والحبـوب، وضروس الخيـل، والمقـص. حيـث يتكـون تصميم الحبـوب، عـلى سـبيل المثـال، مـن أشرطـة طويلـة غالبـاً مـا تكـون بيضـاء اللون تحتـوي عـلى مجموعـة نقـاط تشـبه حبـات المحاصيـل الزراعيّـة. في حـين تكون خلفيـة تصميـم السـادة باللـون الأسـود، أمـا النقشـة في الوسـط فترتكـز عـلى مثلثـات بألـوان مختلفـة، ومتراصـة مـع بعضهـا.